فلســـفة التربيـــة

تطبيقات على التربية فى مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٩ —

« ... وثقافة الانسان لا تقدر بمقدار ما قرأ من الكتب وما تعلم من العلوم والآداب ، ولكن بمقدار ما أفاده العلم ، وبمقدار علو المستوى الذى يشرف منه على العالم ، وبمقدار ما أوحت إليه الفنون من سمو فى الشعور وتذوق للجمال ! »

« أحمد أمين »

« للرجل المثقف جسم خاضع لارادته ، وعقل صاف مشد القوى سهل العمل ملىء بما فى الطبيعة من حق عظيم وقوانين كلية ، هذا إلى امتلاء بالحياة المنسجمة الخادمة لضميره الحى ، وإلى حب للجمال وكره للقبح ، وإلى احترام للنفس وللناس ، وإلى وفاق تام مع الطبيعة يفيدها فيه ويستفيد منها ، ويسير معها كوزيرها أو ترجمانها وهى كأمه الحنون ! » (١)

« هكسلى »

٩ — خريج اليـــوم

عرضت عليك فى المقال السابق صورة لعقلية خريج اليوم وما فيها من ضيق ونقص وجمود والتواء . وأحب اليوم أن أعرض عليك صورة أخرى لعاطفته بنواحيها الدينية والذوقية والخلقية لتتبين أنها مشوبة كذلك بألوان كثيرة من الشذوذ والانحراف

١ — العاطفة

وأحسب أنك تعلم جدارة العاطفة فى حياة الإنسان ، وأنها تلى «العقل» مباشرة فى الخطورة والأهمية ، وأن الحياة بدونها صحراء لا ماء فيها ولا شجر ؛ ولذلك تراهم يحرصون فى الغرب على صقلها وتهذيبها وتهيئتها لأن تكون خير سند للعقل السليم والخلق القويم والذوق الجميل ، وخير معين يروى ظمأ الحياة ويسمو بها فوق الأدران والشهوات ، ويجعل نصيبها من الإنسانية الرفيعة موفور القدر عظيم الدرجات ! . فهيا إذاً نتحسس أثر « العاطفة » فى خريجينا لنرى إلى أى حد قد نجحت مدارسنا فى تكوين هذه الناحية الخطيرة من نواحى التربية والتعليم

(١) الدين

والدين كما تعلم من أقوى مظاهر العاطفة ، ومن أبعدها أثراً فى خُلق الجماعة والفرد ، ومن أعظمها قدراً فى تقدم الأمم وتأخرها . ولذلك قد عنيت الحكومات بنشره وتلقينه ودراسته واهتمت بجعله جزءاً أساسيًّا فى برامج التعليم الدينى والمدنى كيما يخرج النشء متمسكاً بدينه عارفاً لربه عاملاً بفضائل الكتب الدينية وأوامرها . ولكنك حين تبحث عن هذه الناحية فى مدارسنا وخريجينا ترى عجباً . فالدين فى المدارس المدنية ضئيل القدر سطحى النظرة ، لا شأن له فى نجاح التلميذ أو رسوبه ، والفروض الدينية من صوم وصلاة وإحسان مهملة إلى حد بعيد مع خطورة أثرها فى حياة المتخرج الحاضرة والمستقبلة ؛ ولذلك لا تعجب إذا رأيت الكثيرين من أولئك المثقفين لا يعرفون صوماً ولا صلاة ولا زكاة ولا إحساناً ! ولا يدركون من دينهم إلا ألفاظاً وقشوراً ، ولا يحملون له من العاطفة إلا ما لا ينفع فى كثير ولا قليل . ولا تعجب كذلك إذا وجدت بين المصلين من يصلى دون أن تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، ودون أن تصده عن الكذب والرياء والتملق والادعاء مما تزدحم به حياة الدواوين وغير الدواوين على السواء ! . ثم لا تجزع بعد هذا إذا تلمست الصبر والثقة بالله والاتكال والاحتمال فى خريجينا دون أن تجد منها إلا أشباحاً مضمحلة وصوراً متزايلة . وإذا تساءلت عن الزواج فسمعت من يقول لك ما ضرورته وما جدواه والأزمة شديدة والنساء كثيرات !! نعم لا تجزع يا عزيزى ولا تعجب فتلك جميعاً صدى لهذه التربية المدنيـة التى تغفل الدين وتهتم بالحشرات ... !

أما الدين فى المعاهد الدينية فأحسن حالاً وأقوم سبيلا . ولكنك إذا شئت أن تتلمس فيه نقصاً فستجد وا أسفاه شيئاً كثيراً ؛ ذلك أن خريج هذه المعاهد ما يزال مشوباً بضيق الأفق فى تفكيره وتعصبه ونظرته للحياة الحديثة إلى حد هو الجمود أو ما يشبه الجمود! وما بالك بصديق لى منهم دعوته إلى رؤية قطعة من الأدب الحديث على مسرح الأوبرا أو مشهد من مشاهد التاريخ على الستار الفضى

(١) نرجو أن يعذرنا القراء فى تكرير هذين القولين لأنا نريد أن نجعل منهما مقياساً نقيس به الحالة الثقافية للمتخرجين فى مختلف المدارس والمعاهد . وأحسب أن البون شاسع جدا بين خريجينا وبين دلالة هذين القولين

فكان جوابه أن فى القرآن ما يغنيه عن رؤية كل ما فى دور التمثيل والسينما ؟؟ وما بالك بأئمة المساجد فى القرى يتلون على الناس خطباً منبرية لا يهبطون فيها إلى مستوى عقلهم إلا فيما شذ وندر ؟؟ وما بالك بتلك الروح روح التعصب [1] الدينى — ينفثها رجال الدين فى الصدور فتقيم بين أبناء الوطن الواحد حاجزاً من الكراهية وعدم الثقة والمقت والازدراء ؟ وأخيراً ما بالك بذلك الصدر الضيق لا يتسع للنقد ولا للاجتهاد ، وبتلك البدع الدينية الكثيرة التى ليست من الدين فى شىء ، وبهذه وبتلك مما تعرفه أنت وتعلم أنه يغضب الله والرسول ؟؟

تلك يا عزيزى نتيجة التعليم الدينى فى معاهدنا قد عرضتها عليك فى شىء من الجرأة والحياء فهلا ترى أنها نتيجة أليمة تحتاج إلى التعديل السريع ما دام الأمر لا يقتصر هنا على علاقة المرء بربه ، بل يمتد ويمتد إلى صلة الأفراد ببعضهم وإلى رقى الدولة وانحطاطها ؟؟

(ب) — الأخلاق المدنية

والأخلاق مظهر قوى للعاطفة ؛ فاذا هى فقدت منبعها الدينى فماذا يتبقى لها غير الضمير الشخصى والاجتماعى ؟؟ لنبحث إذا فى أخلاق الخريجين الموظفين منهم وغير الموظفين فسنجد كذلك عجبا . كم منهم من « يشعر بواجبه » شعورا حقيقيا وينطلق إلى أداء هذا الواجب بإخلاص تام وهمة عالية ؟؟ وكم منهم قد وضع لنفسه « مثلا أعلى » فهو يسعى لتحقيقه ، ويُصدر عنه فى جميع أفعاله ، ويتحمل الآلام فى سبيل الذود عنه ، ويعمل على نشره بين أهله وذويه متخذاً لنفسه فى حياته رسالة شريفة يحيا من أجلها ويموت ؟! الحق أنا مصابون فى هذ الناحية بأخبث الأمراض وأشنعها وأكثرها دمارا ووبالا . وحسبك أن تنظر فى قوائم الاهمال والتقصير ، والتزوير والتدليس ، والتلاعب والاختلاس ، والأقارب والأصهار ، حتى يقف شعر رأسك فزعا ورعبا من تلك الفوضى الخلقية التى تسيطر على رجالنا وتسير بسفينتهم إلى بحر الظلمات !! ألا يختلس المختلسون آلاف الجنيهات من مال الدولة الحرام ؟ ألا ينحط الخلاف السياسى إلى جرائم الافك والزور والكذب والاحتيال ؟ ألا تباع الضمائر والأقلام فى سوق المال بيع الأغنام ؟؟ ألا ترتفع الشكوى لأولى الشأن دون أن يسمع سامع أو يستجيب مستجيب ؟ ألا يتخذ الأجانب من بعض رجالنا سواعد لهم فى الحكومة والشعب على السواء ؟؟ ألا يصبح رجل الحق أحيانا كاليتيم فى مأدبة اللئام ؟؟ ألا يميل ميزان العدل مرارا فاذا العدل ظلم والظلم عدل ؟ أليس فى المعلمين والأطباء والمحامين وغيرهم من يؤدى عمله أداء ناقصا مشوها لا يعدل مطلقاً ما يتناول عليه من أجر ؟ أليس فى الموظفين من يكتم صوته ويطأطىء رأسه ويلوذ بالصمت الحقير إذا شعر أنه مهدد بمجرد النقل إلى بلد قريب فضلا عن الخصم أو الحرمان ؟؟ ثم ألا تذهب صيحات المصلحين عندنا كصرخة فى واد ؟ ألا يعف شيوخ رجالنا عن كل جديد يأتى من ناحية الشبان ؟ ألا تنحى شخصيتنا المصرية فى رجال الثقافة المدنية محوا أليما ؟ ألا نقلد الغرب فى كل تافه حقير ؟ ألا نترك صناعاتنا المصرية تنتحر من أجل المظهر اللائق والبهرج المرذول ؟؟ ألا يصمت الثائر مثا ويمحو شخصيته ويندمج فى التيار العام وكله يأس وعجز وأسى وقنوط ؟؟

ذلك طرف من خلق كثير من الخريجين فهل تراه يرضيك ؟ وإذا كان كل خريج زعيما للشعب فى دائرته فهل ترى للشعب زعماء صالحين [1] ؟؟ وحسبك اليوم ذلك وإلى اللقاء حيث أحدثك عن ناحية الذوق أيضا

« يتبع » محمد حسن ظاظا

(١) المسلمون منهم والمسيحيون واليهود على السواء ، وأظن أنه قد آن الوقت الذى يجب أن نترك فيه أمر الدين لله وننظر للناس من حيث خلقهم وكفاءتهم لخدمة

(١) قال شوقى بك : وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلى

تحت الطبع :

حيـــاة الرافعى

للأستاذ محمد سعيد العريان

الاشتراك فيه قبل الطبع ١٠ قروش تدفع إلى إدارة الرسالة ، أو إلى المؤلف بعنوانه :

شبرا مصر . شارع مسرة رقم ٦

ثمن الكتاب بعد الطبع ١٥ قرشاً